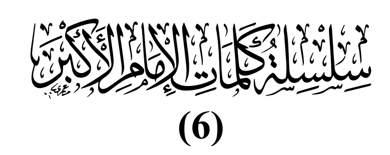

السلام أولاً


مجلس حكماء المسلمين
Muslim Council of Elders


سلسلة كلمات الإمام الأكبر

(6)


السلام أولاً


بقلم
أحمد الطيب
شيخ الأزهر الشريف
رئيس مجلس حكماء المسلمين


الحكماء للنشر
Alhokama Publishing



الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ٧٦٩٥٦٤ أبوظبي
هاتف: 777 73 30 2 971+
فاكس: 054 12 44 2 971+
البريد الإلكتروني: info@muslim-elders.com
الموقع الإلكتروني: www@muslim-elders.com

فِهرست الهيئَة المصريَّة العامَّة
لدار الكُتُب والوثائق القوميَّة:
الطيب، أحمد
السلام أوَّلا
ط –1 القاهرة: دار القدس العربي،
1440هـ/ 2019م.
ص ؛ 15 × 22 سم.
عدد الصفحات: 56
1 – تاريخ الحضارات 2 – علوم الإجتماع
3 – الفكر الإسلامي 4 – العنوان

رقم الإيـــداع: 2016 / 27361
الترقيم الدولي: 978-977-6601-05-5

الطبعة الأولى

1440هـ/ 2019م.

صورة الغلاف الخارجي: منظرٌ للجامع الأزهر الشريف
بريشة المستشرق الفرنسي بريس دافين
Prisse d'Avennes, (1807 – 1879).

مُتعَهِّد الطبع:
دار القدس العربي ، القاهرة
البريد الإلكتروني: dar.quds@gmail.com

تصميم الغلاف: Media Pictures Adv.
وائل حسن – هاتف: 1113354001 20+
البريد الإلكتروني: wael.hasan86@gmail.com

الصَّفُّ الطِّباعِيُّ والتنسيق: ناصر محمد يحيى



(يُباعُ هذا الكِتابُ بسِعر التَّـكلُفة وعائدُه مُخصَّصٌ لطباعةِ كُتُبِ التراث الإسلامي)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (*)

السَّادَةُ العُلَمَاءُ أَعضَاءَ هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ بجامعةِ «مونستر».

البَنَاتُ والأبناءُ مِنْ طالِبَاتِ وطُلَّابِ الجَامِعَةِ!

السَّلَامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبرَكَاتُه.

أُحَيِّيكُم جَمِيعًا، وأتقَدَّمُ بِخَالِصِ الشُّكرِ والتَّقدِيرِ إلى أ.د/ نيليس Ursula Nelles لِتَكرُّمِها بِدَعوَتي للمُشارَكةِ في هذا المُلتقَى العِلْمِيِّ، وللتحَدُّثِ إِلَيْكُم والاسْتِمَاعِ مِنكُم حَوْلَ أَخْطَرِ قَضِيَّةٍ تأخُذُ بخِناقِ عالَمِنا المُعَاصِرِ، وتَتحَدَّى كُلَّ إِنجَازَاتِه الحضَاريَّةِ، وتكَادُ تُلْقِي بِهَا في مَهَبِّ الرِّيحِ، هَذِه القَضيَّةُ هِيَ قضيَّةُ «السَّلَامِ» الإقلِيمِيِّ والدَّولِيِّ، وحِمَايَةِ الحضَاراتِ الإِنْسانيَّةِ مِمَّا يَتربَّصُ بِهَا مِنْ مَخَاطِرَ عَدِيدَةٍ،

(*) أصل الكلمة محاضرة أُلقِيَت في جامعة «مونستر» «Münster» بألمانيا، بتاريخ: ٨ جمادى الآخرة: ١٤٣٧هـ/ ٢٧ مارس: ٢٠١٦م.

على رأسِها الإرهَابُ العَابِرُ للقَارَّاتِ، والَّذي إنْ تُرِكَ يَنْمُو ويَقْوَى فإنَّ النَّتيجَةَ الحَتْمِيَّةَ هِيَ «عَودةُ البَشَرِيَّةِ كُلِّها إلى حَالَةٍ مِن الهَمَجِيَّةِ والفَوضَى، رُبَّمَا لَا يَعْرِفُ التَّاريخُ لهَا مَثِيلًا مِنْ قَبْلُ».

وَاسْمَحُوا لِي أَيُّهَا السَّادَةُ العُلَمَاءُ والمُفَكِّرُون، أَنْ أَطْرَحَ رُؤيَتِي في هذا المَوضُوعِ بأسلُوبٍ غيرِ تقليديٍّ، وَهِيَ رُؤيَةٌ تكَوَّنَت لَديَّ مِنِ انشِغالي بقَضيَّةِ البَحْثِ عَنِ «السَّلَامِ»، الَّذِي افتَقَدْتُه طَويلًا، وبِخَاصَّةٍ في السَّنَواتِ الأَخيرةِ الَّتي أصْبَحَ فيهَا شَرْقُنا العَربيُّ مَسْرَحًا يَوميًّا لِلدِّمَاءِ والدَّمَارِ والمَوتِ والخَرَابِ.

إنَّ المُتحَدِّثَ الَّذِي يَقِفُ بَين أيديكم -أيُّها السَّادةُ- يُمَثِّلُ جِيلًا كَامِلًا، قَد لَا أَعْدُو الحَقِيقَةَ لَوْ قُلْت: إنَّهُ لَمْ يَنْعَم فيه بالسَّلَام حِينًا، إلَّا كرَّت عَليه الخطوبُ والحُروبُ أحْيَانًا كَثيرَةً، وذَلِكَ في غَيْرِ مَا سَبَبٍ مَعْقُولٍ ولَا مَنطِقٍ مَقبُولٍ.

لَقَدْ شَهِدتُ -وأنا طِفْلٌ لَمْ أُكمِلِ العَاشِرةَ بَعدُ- العُدوَانَ الثُّلَاثِيَّ عَلَى مِصْر عَام ١٩٥٦م، وعَانَيتُ مع لِدَاتي[١] مِنْ صُوَرِ الفَزَعِ والرُّعبِ مَا لا أُريدُ أنْ أسْتَعيدَه في ذاكِرَتي وأنَا في العَقدِ السَّابعِ من عُمُري الآنَ، وَلَمْ تَمُرَّ عَشَرَةُ أعوامٍ حَتَّى دَهمَتنا حَربُ ١٩٦٧م، وعِشْنَا بَعْدهَا سَنواتٍ خَمْسًا في أجْوَاءٍ خَانِقةٍ ثَقِيلَةٍ مُحْبِطةٍ، فَقَد ضَاعَت سيناءُ بأكمَلِهَا في طَرْفَةِ عَيْنٍ، وأصْبَحَ الخَطَرُ على الأبْوَابِ، وعِشْنَا اقتِصَادَ حَربٍ لَا يَكَادُ يُلَبِّي الحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةَ، وإنْ أَنْسَ فلَا أَنْسَى تَدْمِيرَ مَدْرَسَةٍ كاملةٍ بقاذفاتٍ أمريكيَّةٍ دمَّرَت بها الكِيانُ الصهيونيُّ هذه المدرسَةَ بكُلِّ تلاميذِها مِنَ البَنَاتِ والبَنينَ.

ويَحَارُ العَقْلُ السَّوِيُّ في البَحْثِ عَنْ سَبَبٍ واحِدٍ مَنطِقِيٍّ لِهَذا الدَّمَارِ الَّذي حَلَّ بأغْلَبِ دولِ المَنْطِقَةِ، ولو سَلَّمنا

(١) جمعُ «لِدَة»، وهو الإنسانُ الذي يُولدُ مع الرجل في وقت واحد، فينشأ معه، ويكون في مِثلِ سِنِّه، ويُقالُ له أيضًا: القَرْن، والقَرين، والتِّرْبُ. ينظر: «تاج العروس» (ولد): ٩/ ٣٢٦.

-جَدَلًا- بأنَّ هدفَ هذه الحروبِ هو تحريرُ شُعوبِ المَنطقَةِ والتَّخَلُّصُ مِن بعضِ أنظِمَةِ الحُكمِ الديكتاتوريِّ فيما يقولُ بعضُ السَّاسَةِ الغربيِّين إلَّا أنَّ أيَّ عاقلٍ في هذه الدُّنيا لا يفهَمُ أنَّ التَّخَلُّصَ مِنَ الأنظمَةِ الديكتاتوريَّةِ يقتضي قَصْفَ الشُّعُوبِ الآمِنَةِ بالطَّائِراتِ، وهَدْمَ البُيُوتِ عَلَى رُءوسِهم ورءوسِ نِسَائِهم وأطفَالِهم، ولا يُنكرُ أنَّ الطَّوائِفَ العِرقِيَّةَ والمَذْهَبيَّةَ طَالَمَا تعَايشَت في هَذِهِ المَنْطِقَةِ في أمَانٍ وسَلَامٍ دهرًا طويلًا: وأنَّ الأديَانَ والمَذَاهِبَ لَيْسَت وَلِيدَةَ اليَومِ، وإنَّمَا هِيَ قَديمَةٌ قِدَمَ هَذِهِ الأديَانِ والمَذَاهِبِ، وَقَد عَاشَت هِيَ الأُخرَى في سَلَامٍ تَحْت ظِلَالِ الحَضَارةِ الإِسْلَامِيَّةِ، لَمْ تُرزَأ في مُعتَقداتِها، وَلَا مُقدَّرَاتِها، بَلْ كانَت عُنْصرَ ثَراءٍ وتَمَاسُكٍ في بُنيَانِ المُجْتَمَعاتِ ولُحمَتِها ونسيجِها المُشْتَركِ.

كَمَا يَحَارُ العقلُ في تفسيرِ تَزامُنِ اندلاعِ هَذِه الحُروبِ في مَنْطِقَةٍ وَاحِدةٍ، وَبينَ أبنَاءِ الشَّعبِ الوَاحِدِ؛ دُونَ سَائِرِ الشُّعُوبِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ!.

وَقَد وَضَعْتُ خَريطَةَ العَالَمِ مَرَّةً أَمَامِي، وَرُحْتُ أَبْحَثُ بين قارَّاتِها عَن مَنْطِقَةٍ أَسْمَعُ فيها قَعْقَعةَ السِّلَاحِ، أو أرَى شَلَّالَاتِ الدِّمَاء، أو طَوابِيرَ الفَارِّين والهَائمين عَلَى وجُوهِهم في الصَّحراءِ تَحت الثُّلُوجِ والأمْطَارِ بِلَا مَأوًى ولَا غِذَاءٍ ولَا دَوَاءٍ، فَلَمْ أَجِدُ مَسْرَحًا لِهَذِه المَآسِي غَيْرَ الحِزَامِ العَربيِّ والإسْلَاميِّ.

وتسَاءَلتُ؛ هَل كَانَت مَنْطِقَتُنا تَمُرُّ بِظُروفٍ أَو تَغيُّرَاتٍ تَفرِضُ عَلَيْهَا حُروبًا كَتِلَكَ الَّتي بَدأت ولَا نَدرِي مَتَى تَنْتَهِي؟ وَهَل الثَّورَةُ عَلَى نِظَامٍ مِنْ أنظِمَةِ الحُكْمِ في عَصْرِنا هَذا يُشْعِلُ في البِلَادِ حُروبًا داخِلِيَّةً لأَعوامٍ عِدَّةٍ لَا يَتَوقَّفُ فيهَا شَلَّالُ الدَّمِ يَومًا أو بعضَ يَوم؟!

إلى أَسْئِلَةٍ كَثيرَةٍ تَبحَثُ -حَتَّى الآنَ- عَنْ إجَابَةٍ مَنطِقيَّةٍ دونَ جَدوَى، واليَقِينُ الوَحِيدُ الَّذي فَرَضَ نَفْسَه في خِضَمِّ هَذِه الأَسْئِلَةِ الحَيْرَى هو أنَّ الإسْلَام -أَو الأديَانَ- لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ مِنْ الأَحْوَالِ أَنْ يكُونَ مِنْ ورَاءِ هَذا الجَحِيمِ الَّذي

انْدَلَعَ وفَقَدَ السَّيْطرةَ عَلَيْه، وأنَّ المُسْتَفيدين مِن هَذِه الحُرُوبِ هم الَّذين بَرعُوا في اسْتِغْلَالِ الدِّينِ ليكونَ وقودًا يَضْمَنُ اشْتِعَالَ الحَربِ واسْتِمْرَارَ الخَرَابِ والدَّمَارِ.

وَلَا أُرِيدُ -أيُّهَا السَّادَةُ الأَكَادِيميُّون العُلَمَاءُ- أنْ أُطِيلَ عَلَيْكُم في سَرْدِ هَذِه الشَّوَاهِدِ المَأسَاويَّةِ الَّتِي تَعيشُهَا مَنْطِقَتُنا، فَأَنْتُم تَعْلَمُونهَا، رُبَّمَا بِأعْمَقَ وأَدَقَّ مِمَّا أَعْلَمُ، وَلَكِن أُريدُ أنْ أَقُولَ: إنَّه لَيْسَ صَحِيحًا أَنْ يَتوَجَّهَ بَحْثُنَا عَنْ أَسْبَابِ السَّلَامِ المَفْقُودِ في تعَالِيمِ الأديَانِ السَّمَاويَّةِ، أو في نصوصِ القُرآنِ الكريمِ، أو في تاريخِ الإسلامِ بعدَ تزييفِه وتشويهِه، فكُلُّ هذه أسبابٌ مُلَفَّقَةٌ، وتَعِلاتٌ مصطنَعَةٌ لتبريرِ تجارَةِ السِّلاحِ التي أصبحَت مِن أقوَى دعائمِ الاقتصادِ القوميِّ في دولِ الاستعمارِ الجديدِ. أمَّا الأسبابُ الحقيقيَّةُ أو: الأوَّليَّةُ وراءَ هذه الحروبِ العبثيَّةِ فيجِبُ البحثُ عنها في الظُّرُوفِ السِّيَاسِيَّةِ العالميَّةِ وتَضارُبِهَا إقْلِيميًّا وَدوليًّا، وسِيَاسَاتِ الهَيْمَنَةِ العَالَمِيَّةِ، وأيضًا في المَذَاهِبِ

الاقتِصَادِيَّةِ المُنْفَلِتَةِ مِنْ ضَوَابِطِ الأَخْلَاقِ، والَّتِي لَا يَجِدُ دُعاتُهَا وفَلاسِفَتُهَا ومُنظِّرُوهَا أيَّ حَرَجٍ في أنْ تَسْعَدَ قِلَّةٌ مِنَ البَشرِ عَلَى حِسَابِ الكَثرةِ الكَاثرةِ مِنْهُم، وأنْ يُكرَّسَ الغِنَى والثَّرَاءُ والعِلْمُ والتَّقَدُّمُ والرَّخَاءُ في الشَّمَالِ، ويُكَدَّسَ الفَقْرُ والمَرضُ والجَهْلُ والبُؤسُ في الجَنُوبِ.

يَجِبُ أنْ نَبْحَثَ عَنْ أسْبَابِ غِيَابِ السَّلَامِ في هَذَا الخَلَلِ المُقَنَّنِ بَيْنَ ضِفَّتَي المُتَوسِّطِ، وفي سُلُوكِ الحضَاراتِ الكُبْرَى المُعَاصِرةِ الَّتِي لَا تَجِدُ بأسًا في اخْتِراعِ عَدوٍّ مَوهُومٍ، تُدِيرُ عَلَيْه رَحَى الحَربِ، وتُصَدِّرُ لَه الصِّرَاعَ بَعِيدًا عن أراضيها، حَتَّى تَظفَرَ هِيَ بِوحدةِ الصَّفِّ، وبِسَلامِها الاجتِمَاعيِّ الدَّاخِلِيِّ في مُوَاجهَةِ عَدوِّها الخَارِجيِّ.

إنَّ هَذِه التَّعقِيدَاتِ الدَّولِيَّةَ -والَّتِي أَشَرْتُ إلَى بعضِ انعكَاسَاتِها السَّلْبِيَّةِ- مَسْئُولَةٌ عَنْ كَثيرٍ مِنْ مُعَانَاةِ العَالَمِ العَرَبِيِّ والعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ الآنَ، وَبِإمكَانِ مُؤَسَّسَةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الَّتِي أُنْشِئَت مِنْ أَجْلِ حِفْظِ الأَمْنِ والسَّلَامِ الدَّولِيَّين

أنْ تُسْهِمَ في احتِواءِ مُشْكِلَاتِ الشَّرقِ الأَوسَطِ، وتُحَاصِرَ نِيرَانَه، وتُنقِذَ الأرَامِلَ والثَّكَالَى واليَتَامَى -الَّذين لَا نَاقَةَ لَهُم ولَا جَمْلَ- مِن وَرَاءِ هَذا الصِّرَاعِ.

أَيُّهَا السَّادَةُ!

أَرْجُو أَنْ تَعْذُرُونِي في صَراحَتِي هَذِه الَّتِي رُبَّمَا تَجَاوزَتِ المُتَعَارَفَ عَلَيْه في هَذِه المُخَاطَبَاتِ، وعُذْرِي أَنَّنِي أَتَحدَّثُ إِلَى زُمَلَاءَ وَعُلَمَاءَ لَا أَعْتَقِدُ أنَّ مَنْهَجهُم في بَحْثِ القَضَايَا الشَّائِكَةِ يَسْمَحُ بِانتِقَاءِ بَعضِ الفُروضِ وإغفَالِ البَعضِ الآخَرِ في اسْتِخْلَاصِ النَّتَائِجِ الصَّحِيْحَةِ.. مِن هُنَا وَجَبَتِ المُصَارَحةُ، وهَذا الَّذي صَارَحتُكُم بِه هُو رأيُ الغَالبيَّةِ السَّاحِقَةِ مِن المُثَقَّفِين والمُفَكِّرِين والمُحَلِّلِين في الشَّرقِ، وما تُقَدِّمُه وسَائِلُ الإِعْلَامِ وشَبَكَاتُ التَّواصُلِ الاجتِمَاعِيِّ وكأَنَّه أَمْرٌ ثَابِتٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

أمَّا عَن مُقَوِّمَاتِ السَّلَامِ في الأدْيَانِ، فَإِنَّ هَذَا المَوضُوعَ لَا أَسْتَطِيعُ اليَومَ أَنْ أَزِيدَ فِيه كَلِمَةً وَاحِدةً عَمَّا قُلْتُه وكَرَّرتُه في

مُؤتَمَراتِ حوارِ الأَدْيَانِ في عَواصِمِ أُوروبَّا وأمريكَا وآسيَا، على مَدَى خَمْسَةَ عَشَرَ عامًا خَلَت، وحَتَّى لَا أُرْهِقَ مَسَامِعَكُم اسْمَحُوا لي أَنْ أُلَخِّصَ عَقِيْدَتِي في هَذَا المَوضُوعِ، مِن خِلَالِ الدِّينِ الَّذي أَنْتَسِبُ إِلَيْه، وَأُومِنُ بِسَمَاحَتِه وَرَحْمَتِه للعَالَمِين:

أوَّلًا: إِنَّ الأَدْيَانَ السَّمَاويَّةَ مَا نَزَلَت إِلَّا لِترسُمَ للإِنْسَانِ طَريقَ السَّعَادَةِ في الدُّنيَا والآخِرةِ، وتُعَلِّمَه قِيَمَ الرَّحْمَةِ والحَقِّ والخَيْرِ، وأنَّ اللَّهَ كَرَّمَه عَلَى سَائِرِ الكَائِنَاتِ الأُخْرى، واتَّخَذَه خَلِيفَةً لَهُ عَلَى الأَرْضِ، وَحَرَّمَ دَمَه ومَالَه وعِرْضَه.. وإذَا سَمِعْتُم أو قَرَأْتُم أَنَّ دِينًا مِن الأَدْيَانِ السَّمَاويَّةِ سَمَحَ بِإراقةِ الدِّمَاءِ واغْتِيَالِ الحُقُوقِ فَاعْلَمُوا أَنَّ هَا هُنَا تَدْلِيسًا في تَصْويرِ حَقِيقَةِ هَذَا الدِّين.

ثَانِيًا: نُؤْمِن -نَحْنُ المُسْلِمين- بِأَنَّ الإِسْلَامَ لَيْسَ دِينًا مُنْفَصِلًا عَن الأَدْيَانِ السَّمَاويَّةِ السَّابِقَةِ عَلَيْه؛ كَالمَسِيحِيَّةِ واليَهُودِيَّةِ والإِبْرَاهِيمِيَّةِ، بَل يُعَلِّمُنَا القُرآنُ أَنَّ الدِّينَ الإِلَهِيَّ دِينٌ وَاحِدٌ اسْمُه الإِسْلَامُ؛ بِمَعْنَى الخُضُوعِ للَّه تعَالَى

وعِبَادَتِه، وإسْلَامِ الوَجْهِ إِلَيْه، وَأَنَّ مَا يُسَمَّى بِالأدْيَانِ في مُحَادثَاتِنا هُوَ: رِسَالَاتٌ إِلَهِيَّةٌ تُشَكِّلُ حَلَقَاتٍ مُتَّصِلَةً في سِلْسِلَةِ الدِّينِ الوَاحِدِ.

وَمِن هُنَا وَجَدْنَا الإِسْلَامَ يَتَّفِقُ مَع الرِّسَالَاتِ السَّابِقَةِ عَلِيْه في أُصُولِ العَقَائِدِ وأُمَّهَاتِ الأَخْلَاقِ، ويَرْتَبِطُ بها ارتباطًا عضويًّا؛ فَالإِيمَانُ بالأنبياءِ والرُّسُلِ السَّابِقِين وبِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهم مِن الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ جزءٌ لا يتجزَّأُ من إيمانِ المسلمِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وبالقُرآنِ.

بَلْ يُحَدِّثُنا القُرآنُ بِأنَّ مَا شَرَعَه اللهُ من الدِّينِ لِمُحَمَّدٍ هو نَفْسُ مَا شَرَعَه لِنُوحٍ وإبرَاهيمَ ومُوسَى وعِيسَى عَلَيْهم جَمِيعًا أفضَلُ الصَّلَاةِ والسَّلَامِ، وهَذَا مَا يُفَسِّرُ لنَا انفِتَاحَ الإِسْلَامِ عَلَى الأدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ السَّابِقَةِ عَلَيْه وبِخَاصَّةٍ المَسِيحِيَّة منها وغير ذلك مِمَّا نَعْلَمُه جَمِيْعًا وَلَا نَحْتَاجُ إلى بيَانِه لشِدَّةِ ظُهورِه ووضُوحِه.

ثَالِثًا: في القُرآنِ حَقَائِقُ ثَلَاثٌ يَترتَّبُ بعضُها على بعضٍ،

تتعلَّقُ بِنَظْرةِ الإسْلَامِ للبَشَريَّةِ، وتحدِيدِه لِنَوعِ العَلَاقَةِ الَّتي يَجِبُ عَلَى المُسْلِمين أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِهَا في مُعَامَلاتِهم معَ غيرِهم:

الحَقِيقَةُ الأُولى: هِيَ أنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ في خَلْقِه قَضَت أنْ يَخلُقَهم مُختَلِفين في الدِّينِ والعَقِيدَةِ واللَّونِ واللُّغةِ والجِنسِ، وأنَّ هَذا الاختِلافَ لا يتبَدَّلُ وَلَا يَزُولُ.

الحَقيقةُ الثانيةُ: وهي المترتبةُ ترتبًا منطقيًّا على ذلك؛ أنَّه لا مفرَّ -والحالةُ هذه- مِن أن تكونَ العَلاقةُ بين هذه القبائلِ والشُّعوبِ هي عَلاقةُ «التَّعارُفِ»، التي تَعني: التعاونَ المتبادَلَ، وقد نصَّ القرآنُ على هذه العَلاقةِ وعبَّرَ عنها بلفظةِ «التَّعارُفِ» في الآيةِ (١٣) من سُورةِ «الحجراتِ».

والعَلاقةُ بين هاتين الحقيقتين عَلاقةُ تلازمٍ منطقيٍّ صارمٍ؛ لأنَّه لا يُتصوَّرُ أن يَخلُقَ اللَّهُ الناسَ مختلِفينَ في الأديانِ، ويسمَحَ لهم -في الوقتِ نفسِه- بالاقتتالِ بينَهم أو إشعالِ الحروبِ مِن أجلِ فَرضِ دِينٍ معيَّنٍ وإكراهِ النَّاسِ على

الدُّخولِ فيه، فهذا تناقضٌ بين حريَّةِ التعددِ في المُعتقَدِ، ومصادرةِ هذا الحقِّ في حالةِ القتالِ الذي ينتهي إلى حملِ الناسِ على عقيدةٍ واحدةٍ.

وهنا تظهرُ حقيقةٌ تاريخيةٌ هي أن المسلمين لم يُشهِروا السيوفَ في وجوهِ غيرِهم بسببِ معتقداتِهم أو أديانِهم، اللهمَّ إلا إذا تحوَّلَ الغيرُ إلى عدوٍّ يقاتلُ المسلمين، فهاهنا القتالُ بسببِ الاعتداءِ وليس بسببِ الدِّينِ.

الحقيقةُ الثالثةُ: وهي التي ترتبطُ بالحقيقتين السَّابقتين ارتباطَ النتيجةِ بالمقدِّماتِ؛ فهي حريةُ الاعتقادِ، وتكفُّلُ الإسلامِ بحمايتِها، ولعلِّي أذكِّرُ بأمرٍ تحفظُونَه عن ظهرِ قلبٍ حينَ أذكِّرُكم بالآيتين: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، وحديثُ النبيِّ محمَّدٍ ﷺ: «**مَنْ كَرِهَ الْإِسْلَامَ مِنْ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ، فَإِنَّهُ لَا يُحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ**»[(١)].

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المُصنَّف» (١٠١٠٠) عنِ ابنِ جريج . . . فذكَرَه.

رابعًا: يُقرِّرُ القرآنُ أنَّ اللَّه سبحانه ما أَرسَلَ محمدًا إلا رحمةً للعالَمِين، وكلمةُ «العالَمين» أوسعُ بكثيرٍ من كلمةِ المسلمين، بل هي في الفلسفةِ الإسلاميةِ أعمُّ من عالَمِ الإنسانِ، حيث تشمَلُ عَالَمَ الحيوانِ والنباتِ والجمادِ، جاءَ في القرآنِ الكريمِ خطابًا لمحمدٍ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال النبيُّ محمدٌ ﷺ مخاطبًا الناس جميعًا: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[١].

ويضيقُ المَقامُ بالطبعِ عن السُّلوكِ المذهلِ الذي كان يَسلُكُه النَّبيُّ مع هذه العوالِمِ، وأكتفي بالإشارةِ -فقط- إلى تعاليمِه في حُرمةِ قتلِ الكبيرِ والضعيفِ والمرأةِ والصبيِّ والأعمَى في جيشِ الأعداءِ وقَتلِ الَّذين لا يشاركُون في القِتالِ بصُورَةٍ مباشِرَةٍ أو غيرِ مباشِرَةٍ، وكذلك يحرُمُ قَتلُ الحيواناتِ في جيشِ العَدوِّ، إلَّا إذا كان لضرورةِ الطَّعامِ وعَلَى قَدرِ ما

(١) أخرجهُ وكيعٌ في «نُسختِه» (٢٩)، والحاكمُ في «المُستدرَكِ على الصَّحيحَينِ» ١/ ٣٥، من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، وقال الحاكمُ: «حديثٌ صحيحٌ على شرطِهما».

تقتضيه هذه الضرورةُ، كما يحرُمُ على جيشِ المسلمينَ أن يهدِمَ بيوتَ العَدوِّ أو تخريبُها أو الاعتداءُ على الزُّروعِ والنَّباتاتِ وما فيها مِن خلايا النَّحلِ وأعشاشِ الطُّيورِ.

والعجيبُ أن يأتيَنا درسُ الرحمةِ بالإنسانِ والحيوانِ والنباتِ والجمادِ من موطنٍ لا تُستَساغُ فيه الرحمةُ في حُكمِ العادةِ، وهو حالةُ الحربِ والعَداءِ التي يُستساغُ فيها من القسوةِ ما لا يُستساغُ في غيرِها، ولكنَّه نَبِيُّ الإسلامِ، و«الرَّحمةُ المُهداةُ» التي بَسَطَت رِداءَها على العالَمِين، وكان للعدوِّ منها نصيبٌ.

هذا النبيُّ الرَّحيمُ بالحيوانِ أخبرَنا أنَّ امرأةً دخلتِ النارَ في هِرَّةٍ حَبَسَتها؛ فلا هي أَطعَمَتها ولا هي ترَكَتها تأكلُ مِن خشاشِ الأرضِ[1]. وأخبرَ أنَّ رجلًا سقى كلبًا في يومِ حرٍّ شديدٍ فغَفَرَ اللَّهُ له وأدخلَه الجنةَ[2].

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٦٦)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خامسًا: لم تقتصِر توجيهاتُ القرآنِ في ربطِ الإسلامِ بالسَّلامِ على أصلِ الرَّحمةِ، وتركِ المسلمين وشأنَهم يتحلَّون بهذا الخُلُقِ الإنسانيِّ الرَّفيعِ أو يتخلَّون عنه مُضطرِّين أو مُختارِين، وإنَّما كثَّفَ مِن لفظِ «السَّلام» ومفهومِه في القرآنِ بشكلٍ لافتٍ للنَّظرِ، حتى أصبحَ الإسلامُ والسلامُ وَجهَين لعملةٍ واحدةٍ إن صحَّ هذا التعبيرُ، ويكفي للتدليلِ العاجلِ على ذلك أن نَعلَمَ أنَّ كلمةَ «السَّلام» بمشتقَّاتِها وَرَدَت في القرآنِ مائةً وأربعين مرَّةً مقابلَ كلمةِ «الحرب» التي وَرَدَت بمشتقَّاتِها (٦) مرَّات فقط، ومِن هنا لم يكُن مُستغرَبًا أن يُقرِّرَ الإسلامُ مبدأَ «السَّلام» كأصلٍ في معاملةِ المسلمين وعَلاقاتِهم بغيرِ المسلمين، وأنَّ فلسفةَ القرآنِ لا مكانَ فيها لعَلاقاتِ الصِّراعِ والقتالِ مع المُسالِمين مِن غيرِ المسلمين.

أيُّهَا السَّادةُ العُلَمَاءُ!

والآنَ كيف نَنزِلُ بمفهومِ السَّلامِ في الأديانِ إلى هذا الواقعِ المعقَّدِ؟

والإجابةُ التي أَختِمُ بها كلمتي هي: لا بُدَّ أوَّلًا مِن صنعِ السَّلامِ بين رجالِ الأديانِ أنفسِهم، وليس بين رجالِ الدِّينِ الواحدِ، وهذه مشكِلَةٌ تحتاجُ إلى حوارٍ باحثٍ عن المُشترَكاتِ بين الأديانِ، وما أكثرَها وأهمَّها، فما لم يَتصالَح رجالُ الأديانِ فيما بينهم فإنَّه لا أَمَلَ في قدرتِهم على الدَّعوةِ للسَّلامِ والتَّبْشِيرِ به بين النَّاس؛ إذْ فاقِدُ الشَّيءِ لَا يُعْطِيه.

أمَّا كَيف ذَلِكَ؟ فَهَذَا مَا أحتَاجُ إلى أنْ أسْمَعَه من حَضَراتِكُم.

شُكْرًا لِحُسْنِ اسْتِمَاعكُم

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبرَكَاتُه.

ثَبتُ المصَادِرِ والمَراجِع

- «**تاج العروس من جواهر القاموس**» لمحمد بن محمد الحسيني، المعروف بمرتضى الزَّبيدي (ت. ١٢٠٥هـ)، تحقيق جماعة من المحققين، نشر وزارة الإرشاد بالكويت: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- «**صحيح البخاريِّ**» = «**الجامع المُسنَد الصَّحيح المُختَصَر من أُمورِ رسولِ اللَّه ﷺ وسُنَنِه وأيَّامِه**»، لمحمد بن إسماعيل البُخاريِّ (ت. ٢٥٦هـ) تحقيق: محمَّد زهير النَّاصر، دار طوق النَّجاة، مصوَّرة عن الطَّبعة السُّلطانيَّة، بإضافة ترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي (ت. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، الطَّبعة الأُولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- «**صحيح مسلم**» = «**المُسْنَدُ الصَّحيحُ المُختَصَر من السُّنَنِ بنَقْلِ العَدْلِ عن العَدْلِ عن رسولِ اللَّه ﷺ**»، لمُسلم بن الحجَّاج النَّيسابوريِّ (ت. ٢٦١هـ) تحقيق: الأستاذ محمَّد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت (د. ت).
- «**المستدرك على الصحيحين**»، لأبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه الحاكم النيسابوري (ت. ٤٠٥هـ) تحقيق مجموعة من الباحثين المصريين، دار الميمان، الرياض، الطَّبعة الأُولى: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- «**المصنف**»، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت. ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (ت. ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢) المجلس العلمي، الهند، الطَّبعة الثَّانية: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- «**نُسخة وَكيع عن الأعمش**»، للإمام وَكيع بن الجرَّاح (ت. ١٩٧هـ) حققها: عبد الرحمن الفريوائي، الدار السلفية، الكويت: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الفِهرسُ التّفصِيليّ



مجلس حكماء المسلمين

Muslim Council of Elders

www.alimamaltayeb.com

Bibliographie

Al-jāmi‘ al-musnad al-Ṣaḥiḥ al-mukhtaṣar mi ’umūr rasūlillāh wa sunanih wa ’ayyāmih (précis du Recueil authentique rapporté au sujet des affaires de la vie du Messager d’Allah, ses sunans et ses jours)= *al-Ṣaḥiḥ al-Bukhārī*.

Al-Ṣaḥiḥ de Muḥammad Ibn Ismā‘īl al-Bukhārī (mort en 256h.), recensé par Muḥammad Zuhayr al-Nāṣi, Dar Ṭawq al-Najāh, photocopie de l’édition du sultan, numérotation de Muḥammad Fu’ād ‘Abdul Bāqī, 1èer édition,1422.

Al-Ṣaḥiḥ de Muslim Ibn al-Hajjaj al-Naysābouri (mort en 261h.), recensé par Muḥammad Fu’ād ‘Abdul Bāqī, (mort 1967), Dar Iḥiyā’ al-turath al-‘arabī, Beyrouth (sans date).

al-Mustadrak ‘alá al-ṣaḥīhayn, d’Abū ‘Abd Allāh Muḥammad Ibn ‘Abd Allāh al-Ḥākim al-Naysābūri (mort en 405h.), recensé par un groupe de chercheurs égyptiens, Dār al-Maymān, Riyad, 1ère édition, 1435h.

Al-musnad al-Ṣaḥiḥ al-mukhtaṣar min al-sunan binaql al-‘adl ‘an rasūlillāh (précis du Recueil authentique transmis au sujet des sunans rapporté par des chaines de transmetteurs équitables d’après le Messager d’Allah), voir *Ṣaḥiḥ Muslim*.

al- Muṣannaf (le Classifié) de ‘Abd al-Rāziq Ibn Hammām al-Ṣan‘ānī (mort en 211h.), recensé par Ḥabīb Ibn ‘Abd al-Raḥmān al-’A‘ẓumī (mort en 1412h.), al-Maktab al-’Islamī, Beyrouth, 2ème édition, 1403.

Nuskhat (version)*Waqiī‘* de Waqiī‘ Ibn al-Jarrāḥ (mort en 197h.), recensé par ‘Abd al-Raḥmān al-Faryuwā’ī, Al-dar al-salafiyyah, Kuweit, 1ère première édition, 1406h.

dire que le terme ***«salām»*** et ses dérivés sont mentionnés dans le Coran 140 fois, alors que le terme ***«harb»*** **(guerre)** et ses dérivés sont cités six fois uniquement.

Il est donc normal que l'Islam approuve la valeur de la paix en tant que principe de base qui doit gérer les relations entre les musulmans et les non-musulmans et que les relations du conflit et du combat avec les pacifiques parmi les non-musulmans n'ont pas lieu dans la philosophie du Coran.

Messieurs les savants !

Comment appliquons-nous donc le concept de paix établi par les religions dans notre réalité si compliquée ? La réponse par laquelle je devrais terminer mon discours est la suivante :

Nous devons tout d'abord établir la paix entre les spécialistes de toutes les religions, et non pas entre ceux de la même religion. Il s'agit d'une problématique digne d'un dialogue visant à trouver les dénominateurs communs, étant multiples et importants, entre les religions. Si les hommes de religion ne se mettent pas d'accord entre eux, il n'y aura aucun espoir en leur capacité permettant d'appeler à la paix et de la promouvoir entre les hommes, car celui qui n'a pas les moyens, n'aura rien à donner.

Comment le réaliser donc, c'est ce que j'ai besoin de l'écouter de vous ?

Merci pour votre attention !

Al-Salām 'Alikum Wa- Rahmatuallah Wa- Barakatuh/

Que la paix, la miséricorde et la bénédiction d'Allah soient sur vous !

Aḥmed al-Tayyeb
Cheikh de l'Azhar
Et chef du Conseil des sages Musulmans

Je me contente ici d'indiquer ses enseignements relatifs à l'interdiction de tuer les personnes âgées, les faibles, les femmes, les enfants pendant la guerre, d'égorger leurs animaux sauf pour en manger et selon les besoins, de détruire et de saccager leurs maisons ou même d'arracher leurs plantes et de faire disperser leurs abeilles.

Ce qui est frappant est que ces enseignements interviennent et doivent être appliqués dans le contexte de guerre où la miséricorde de l'être humain envers l'animal, les plantes et les objets n'a pas, le plus souvent, lieu.

Il s'agit effectivement donc de Muḥammad, la «**miséricorde offerte**» qu'Allah a envoyée pour couvrir toutes les créatures même en cas de guerre. Ce prophète plein de miséricorde envers l'animal nous a parlé une fois qu'une femme est entrée à l'enfer pour avoir emprisonné un chat et ne l'a pas laissé se nourrir des herbes de la terre[4] , et également d'un homme qui est entré au paradis pour avoir donné à boire à un chien crevé de chaleur. Ainsi, Allah lui a pardonné et l'a fait entrer dans le Paradis[5].

Cinquièmement : les directives du Noble Coran ne se contentent pas d'établir des liens entre l'Islam et la paix sur la base de la notion de la miséricorde, mais ces mêmes directives n'ont pas donné choix aux Musulmans d'adopter ou non ce principe. Nous remarquons que le terme ***«as-salām* (la paix**) et son concept dans le Coran sont fort présents au point que le terme ***Islam*** et celui de ***«salām***» constituent deux faces d'une même devise. Il suffit pour en prouver de

4. Rapporté par al-Bukhārī, n°3318 et Muslim, n° 2242d'après Ibn 'Umar, qu'Allah l'agrée.

5. Rapporté par al-Bukhārī, n°2466 et Muslim, n° 2244 d'après Abū Hurayra, qu'Allah l'agrée.

contrainte en matière de religion ! Car le bon chemin s'est distingué de l'égarement…» (Sourate *al-Baqara*, la Vache, V 256) et ***«Quiconque le veut, qu'il croie, quiconque le veut qu'il mécroie…»*** (Sourate *al-Kahf*, la Caverne, V. 29).

De même, je cite le hadith du Prophète, à lui bénédiction et salut ***:****»Tout Juif ou Chrétien qui ne veut pas se convertir à l'Islam, il ne faut pas le forcer à le faire «*[2]

Quatrièmement : le Noble Coran établit qu'Allah a envoyé Muḥammad comme une miséricorde pour *al-'ālamīn* (tout l'Univers). Le terme *'ālamīn* est plus général que le terme «*muslimun*». En effet, cette miséricorde s'étend pour englober les animaux, les plantes et même les objets. Le Coran s'adresse ainsi au prophète, à lui bénédiction et salut : ***«Et Nous ne t'avons envoyé qu'en miséricorde pour l'univers»***. (Sourate *al-Anbiā'*, les Prophètes, V 107). De même, le Prophète, à lui bénédiction et salut, dit à toute l'humanité : *« je ne suis qu'une miséricorde offerte»*[3].

Sans doute, le temps ne me permet pas de parler plus en détail du comportement admirablement exemplaire du Prophète, à lu bénédiction et salut, à l›égard de toutes les créatures.

2. Rapporté par 'Abd al-Rāziq dans al- Muṣannaf, n°10100 d'après Jurayj.

3. Rapportée par Waqī' dans sa «version», n° 29 et al-Ḥākim dans al-Mustadrak sur les deux Ṣaḥīḥs, 1/35 d'après Abū Hurayrah, qu'Allah l'agrée. A son propos, al-Ḥākim dit : « hadith authentique selon les conditions deux cheikh, (al-Bukhārī et Muslim)».

La première vérité est que la Volonté divine a voulu que les créatures soient différentes au niveau de la religion, de la croyance, de la couleur et de la race. Cette différence est permanente et immuable.

La deuxième vérité, qui est logiquement liée à la première. La relation entre les différents peuples devrait être basée sur « **l'interconnaissance** « dans le sens de la coopération mutuelle. Le Coran l'a bien exprimée par le terme «***Ta'āruf*** **«** ou» **interconnaissance**» dans le verset 13 de la Sourate 49.

Le lien entre ces deux vérités est forcément logique et solide, car on ne peut pas imaginer qu'Allah crée les gens différents en matière de religion et qu'Il leur permet en même temps de transformer ces relations d'interconnaissance en conflits, combats et guerres. Une contradiction se produit alors entre le droit à la liberté de conscience et la confiscation de ce droit à travers les guerres qui se terminent par forcer les gens à embrasser une seule religion.

Je tiens également à souligner ici une vérité historique très reconnue : les Musulmans n'ont jamais porté les armes contre les autres à cause de leurs croyances ou de leurs religions, sauf dans le cas où ces derniers se transforment en ennemis et font la guerre contre les Musulmans. Dans ce cas, le combat a pour raison l'attaque et l'agression et non pas la religion.

Quant à **la troisième vérité** liée aux deux autres, c'est **la liberté de conscience** que l'Islam garantit. Je vous rappelle ici une question que vous apprenez peut-être par cœur si je vous rappelle les deux ux versets coraniques suivants : ***«Nulle***

Deuxièmement : Nous, les musulmans, croyons que l'Islam n'est pas en rupture avec les autres religions antérieures comme le Christianisme, le Judaïsme et la religion d'Abraham. Bien au contraire, le Noble Coran nous apprend que la religion d'Allah est une :»***l'Islam***» dans son sens général qui désigne le fait de se soumettre à Allah, de L'adorer et de se remettre à Lui. Par le terme «***religions***» évoqué dans nos discussions, nous entendons réellement les messages divins qui constituent, tous, la lignée de la seule religion.

De là, nous constatons que l'Islam s'accorde avec les messages divins antérieurs en ce qui concerne les fondements de la Foi et les grandes valeurs en ayant toujours des liens organiques avec elles. En effet, croire aux prophètes et aux messagers antérieurs ainsi qu'aux livres célestes qui leur ont été révélés est une partie intégrante de la Foi du musulman en la prophétie de Muḥammad, à lui bénédiction et salut, et en le Coran.

De même, le Noble Coran nous montre que la législation divine révélée à Muḥammad est conforme à celle révélée à Noé, à Abraham, à Moïse et à Jésus, à eux, tous, bénédiction et salut. Ceci explique l'ouverture de l'Islam sur les religions célestes antérieures, notamment le Christianisme. C'est une réalité unanimement reconnue et établie.

Troisièmement : Le Coran constate trois vérités étroitement liées concernent la vision de l'Islam vis-à-vis de l'humanité et de son institution de la nature des relations entre les musulmans et l'Autre.

Mesdames et Messieurs !

Je vous prie de bien vouloir m'excuser pour ma franchise qui va peut-être au-delà des discours convenus dans de telles occasions. Mon excuse, c'est que je m'adresse à des collègues et à des savants dont la méthodologie de recherche en matière de questions épineuses pareilles ne permette point de sélectionner certaines hypothèses au détriment d'autres pour en tirer des conclusions exactes. De là, la franchise devient la règle. Ce que je vous ai dit ici est l'opinion de la majorité écrasante d'intellectuels, de penseurs et d'analystes en Orient alors que les médias et les réseaux sociaux le présentent en tant que vérité établie convenue.

Quant aux potentialités de la paix dans les religions, je ne peux rien ajouter de neuf à ce que j'ai déjà dit et répété lors des conférences sur « ***le dialogue interreligieux*** « tenues dans les capitales de l'Europe, de l'Amérique et de l'Asie au cours des quinze dernières années. Permettez-moi, afin de ne pas vous déranger, de résumer ma vision sur cette question conformément aux enseignements de ma religion qui appelle, comme je le crois, à la tolérance et à la miséricorde :

Premièrement : les religions divines ne sont venues que pour tracer, pour l'homme, la voie du bonheur dans la vie d'ici-bas et dans l'au-delà, lui enseigner les valeurs de la miséricorde, de la vérité et de la charité. Elles lui montrent également qu'Allah lui a préféré à toutes les autres créatures et fait de lui Son calife sur la terre en rendant sacrés son sang, ses biens et son honneur. Si vous entendez ou lisez qu'une religion céleste autorise le versement du sang et la violation des droits de l'Autre, sachez bien qu'il s'agit là d'une falsification de la réalité de cette religion.

et par les théories économiques qui ne respectent point les normes éthiques. En effet, les philosophes et les penseurs et les tenants de ces théories ne trouvent pas de mal à ce qu'un petit nombre de gens puisse être heureux au détriment de la majorité et à ce que la richesse, la science, le progrès et la prospérité soient bien réservés au Nord alors que la pauvreté, la maladie, l'ignorance et le malheur restent entassés dans le Sud.

Nous devons alors chercher les raisons de l'absence de la paix dans cette disparité codifiée entre les deux rives de la Méditerranée. Nous devons les chercher également dans le comportement des grandes civilisations contemporaines qui ne trouvent aucun mal à inventer un ennemi imaginaire pour le combattre et lui exporter le conflit, au-delà de leurs frontières d'une part, et pour se jouir de l'union et de la paix sociale interne face à leur ennemi externe d'autre part. Ces complexités internationales, dont j'ai souligné certains effets négatifs, sont responsables aujourd'hui d'une partie, grande ou petite, de la souffrance du monde arabo-musulman.

L'Organisation des Nations Unies, qui a été créée pour maintenir la paix et la sécurité internationales, peut contribuer, elle aussi, à résoudre les problèmes du Moyen-Orient, à éteindre ses feux et à sauver les veuves, les orphelins et les mères endeuillées qui n'ont rien à voir avec ce conflit.

Une fois, j’ai déposé la carte du monde devant moi et je me suis mis à chercher, entre ses continents, une région où l’on peut entendre le fracas des armes, voir les fleuves de sang ou même constater les queues des fugitifs qui errent dans le désert, sous la pluie et la neige, sans abri ni nourriture ni médicament. C’est uniquement la zone arabo-musulmane qui est actuellement la scène pour toutes ces catastrophes.

Ainsi, je me suis demandé : notre région connaissait-elle des circonstances et des mutations impliquant des guerres similaires à celles qui viennent de commencer et nous ne savons pas à quel moment elles prendront fin ? Une révolution contre un régime contemporain quelconque pourrait-elle provoquer, dans les pays, des guerres civiles qui pourraient durer plusieurs années produisant ainsi un bain de sang qui s’accroît jour après jour ? On pourrait aussi multiplier les questions auxquelles nous cherchons en vain des réponses logiques. La seule certitude que j’ai, au sein de ces questions confuses, c’est que l’Islam, comme toutes les religions, ne pourrait en aucun cas être provocateur de cet enfer qui s’est déclenché et qu’on ne peut plus contrôler. Les bénéficiaires de ces guerres s’ingénient même à instrumentaliser la religion pour en faire un carburant menant au déclenchement de la guerre et à la continuité de saccage et de destruction.

Je ne veux pas, chers Messieurs, universitaires et savants, prendre plus de temps pour parler des évènements dramatiques que connaît actuellement le Moyen-Orient. Car vous les savez même mieux que moi. Mais, je voudrais simplement dire qu’il ne faut pas accuser les enseignements des religions divines de la perte de la paix, car celle-ci s’explique par les circonstances politiques et leurs répercussions sur régionales et internationales, par les politiques de l’hégémonie mondiale

Un peu plus tard, nous avons été surpris par un autre type de guerres et de théories modernes où la lutte armée ne vise pas à combattre un ennemi extérieur, mais plutôt à semer la discorde entre les citoyens appartenant à la même patrie et au même peuple après avoir préparé le terrain par la création des foyers de tension doctrinale et de conflits ethniques et confessionnels. Ensuite, on commence à exporter des armes aux parties belligérantes et des guerres féroces se mettent à se déclencher pour tout ravager.

En effet, l'esprit sain devient perplexe en cherchant une seule raison logique justifiant cette destruction qui a touché la plupart des pays de la région. Car l'élimination des régimes totalitaires ne doit jamais impliquer le bombardement aérien des peuples vivant en paix et la destruction des maisons sur les têtes de leurs habitants y compris les femmes et les enfants.

D'ailleurs, les communautés ethniques et confessionnelles coexistaient longtemps dans cette région en paix et en sécurité, car les religions et les doctrines ne datent pas d'aujourd'hui, mais elles sont très anciennes. Pourtant, elles, aussi, ont coexisté en paix sous la civilisation islamique sans que l'on porte aucune atteinte ni à leurs croyances ni à leurs potentiels. Au contraire, elles représentaient un élément de richesse qui a réalisé la cohésion, l'unité et la solidarité dans la société.

L'esprit sain devient également perplexe lorsqu'il cherche des explications pour l'éclatement simultané de ces guerres dans la même région et entre les citoyens du même pays sans toucher le reste du monde.

Chers messieurs !

L’intervenant, que vous êtes en train d’écouter maintenant, représente toute une génération, qui - je n’exagère pas de le dire- si elle s’est bénéficiée quelquefois de la paix, les guerres et les grands malheurs l’ont frappée le plus souvent sans raison valable, ni logique acceptable. Quand j’avais moins de dix ans, j’ai vécu l’agression tripartite contre l’Egypte en 1956. J’ai souffert, tout comme les autres enfants de mon âge, de plusieurs formes de panique et de terreur que je n’aimerais pas me rappeler aujourd’hui où je suis devenu septuagénaire.

Dix ans plus tard, la guerre de 1967 a été déclenchée et on a vécu cinq ans dans une situation critique, étouffante et décevante puisqu’on avait perdu Sinaï en un clin d’œil et le danger était très proche de nous. Nous avons donc mis en place une économie de guerre qui ne subvenait qu’aux besoins si indispensables. Dans ce contexte, je ne pourrais jamais oublier le bombardement aérien menant à la destruction totale d’une école sur la tête de tous ses élèves, garçons et filles.

Ensuite, a eu lieu la Guerre de libération en 1973 avec un goût bien différent cette fois-ci. Nous avons connu, pour la première fois, le sens de la victoire et la fierté du à la restitution de la dignité. A ce moment-là, nous avons cru que l’Orient Arabe allait commencer une période de stabilité et de développement durable et rattraper le train du progrès, de la paix et de la prospérité.

Au nom d’Allah le Tout Miséricordieux, le Très Miséricordieux[1]

Messieurs les professeurs à l’Université de Münster
Chers étudiants,

Al-Salām’AlikumWa-Rahmatuallah Wa-Barakatuh !
(Que la paix et la miséricorde d’Allah soient sur vous !)

Je vous salue tous et adresse mes remerciements les plus sincères au Professeur. Dr. Ursula Nelles qui a eu la bienveillance de m’inviter à ce forum scientifique afin de vous parler et de vous écouter au sujet de la question la plus grave qui préoccupe notre monde contemporain et défie toutes ses réalisations civilisationnnelles. Il s’agit de la question de la «***paix***» régionale et internationale et de la protection des civilisations humaines contre tous les dangers dont le terrorisme transcontinental en croissance constante. Le résultat inévitable sera le «retour de l’humanité à la barbarie et à l’anarchie sans pareille dans l’histoire».

Chers savants et intellectuels, permettez-moi d’exprimer ma vision non traditionnelle concernant la paix. Elle s’est formée dans mon parcours à travers ma préoccupation de la recherche de la ***« paix «*** que nous avons longtemps perdue, notamment dans ces dernières années. Notre Orient Arabe est devenu une scène où l’on voit chaque jour le versement du sang, la destruction, la mort et le saccage.

1. À l›origine, ce texte est une conférence donnée à l›Université de Münster le 8 Jumādá al-Ākimrah 1437h. /le 27 mars 2016ap. J.-C.

Série de Conférences de l'imam (6)



La Paix d'abord

Par

Son Eminence, le Grand Imam, le Professeur

Ahmed Al-Tayyeb

Cheikh de l'Azhar

Et

Chef du Conseil des Sages Musulmans



www.alimamaltayeb.com

Première édition
1438h. / 2017ap. J.-C.
Mashyakhat d’al-Azhar al-Sharīf
Télé : + 25907497/ + 25899823
Fax : +25903974
Cellulaire : 01114242123
E-mail : alazhar1438 @gmail.com
Site : www.azhar.eg

N° de dépôt : 23713/2016.

La Paix d’abord

References:

"Al-Game'a Al-Musnad Al-Sahih AL-Mukhtasar from the sayings of the messenger of Allah (PBUH), his Sunnah and his days ".

"Al-sahih" for Muhammad Ibn Ismail Al-Bukhary(256 AH) , edited by: Muhammad Zuhair Al-Nasser Tawk Al-Najah publishing house , copied from the Sultanate Edition with additions by Muhammad Fouad Abdel Baqi , first edition:1422 AH.

"Al-Sahih" for Muslim Ibn AL-Haggag Al-Naissaboury (261 AH) EDITED BY: Mr/ Muhammad Fouad Abdel Baqi (1967) Revival of the Arab Heritage publishing house, Beirut.

"AL-Mustadrak ala AlSahihain" for Abi Abdellah Muhammad Ibn Abdellah Al-Naissaboury (405 AH),edited by a group of the Egyptian Researchers , Dar AL-Maiman ,Riyadh , first edition (1435 AH).

"AL-Musnad AL-Sahih from the Sunnan Benakl al-adl an al-adl on the authority of the Prophet (PBUH) =see "Sahih Muslim".

"AL-Musannaf" for Abdel Razik Ibn Hammam AL-San'any (211 AH)، edited by :Habib AL-Rahman AL-Azamy (1412AH) , the scientific council ,India ,second edition :(1403 AH).

A Copy Waki' on the authority of AL-A'mash for AL-Imam Waki' Ibn AL-Garrah (197 AH) edited by: Abdel Rahman AL-Feryawai' ,AL-Dar AL-Salafiya , Kuwait : (1406 AH).

strikingly, till Islam and peace become different sides of one and the same coin.

It is enough to mention quickly that the word “peace” together with its derivatives are repeated 140 times in the Qur’an while the word “war” is mentioned, together with its derivatives, only 6 times. Therefore, it should no longer strange be strange that Islam establishes peace as a principle when dealing with Muslims and non-Muslims. The philosophy of the Qur’an thus leaves no room for conflict or fighting with the peaceful non-Muslims.

Revered Scholars,

How can we then apply the concept of peace to this complicated reality? The answer -to conclude my speech- is that we should make peace among the leaders of different religions, not to mention the religious leaders of one and the same religion. This is a problematic issue that requires a painstaking dialogue that delves deeper into the common grounds between religions, especially when these common grounds are numerous and so important. If men of religions do not establish peace with each other, there shall be no hope to get the fruits of their call for peace among people at large, as it is logically known that a person cannot give what he himself lacks.

Thanks for your attentive listening!

May Allah’s Peace, blessings and mercy be upon you!

The Grand Imam of Al-Azhar
Ahmed Et-Tayyib

The Qur'an addresses Prophet Muhammad (PBUH) saying, "We have not sent you, [O Muhammad], except as a mercy to the worlds" and Muhammad (PBUH) addresses the whole human beings saying, "Indeed, I am a gift of mercy granted by Allah the Almighty."

There is no room here to discuss in detail the good behavior that the Prophet PBUH always showed toward these worlds. It would be enough to refer only to his teachings concerning the prohibition of killing the elder, women, children, the weak and blind. Moreover, he prohibited killing the animals except for the necessity of eating, and so he did with devastating houses, and cutting plants.

It is amazing that Islam also orders us to have mercy for human beings, plants and inanimate objects at circumstances in which mercy would normally have no place, as in the state of war where f cruelty might seem inevitable. However, the mercy given as a gift to us extends over the whole world including the enemies.

This Prophet (PBUH), who has been merciful to animals, told us that "a woman was cast into the Hellfire because of a cat which she had locked in with nothing to eat, and she did not let it free so that it could devour the vermin of the earth". He also told us that Allah allowed a man to enter Paradise for quenching the thirst of a dog in excessive heat.

Fifth: the Qur'an makes it insufficient in promoting peace to only direct the Muslims to depend on their instinct of mercy, letting them discover how to adhere to peace willingly or unwillingly; rather it frequently features the word "peace" and its related concepts in the Qur'an very

is that it is inevitable that the relationship between different tribes and nations be based on "taʿāruf", meaning: mutual cooperation. The Qur'an states this clearly in 49:13. There is a logical inseparability between these two facts since we cannot imagine that Allah creates people with different views on religion and then allows them to develop a relationship of conflict, fight or war due to the same reason, i.e. religion. As such, there would be a contradiction between the right to freedom of religion and confiscating the same right in the case of fighting which attempts to force all people to believe in one faith. One historical fact is that Muslims never carry swords against the others because of their beliefs so long as the latter do not turn into enemies fighting against Muslims. In that case, the grounds for fighting would have been aggression, and not religion.

The third fact that brings together the aforementioned two facts is the right to freedom of belief as safeguarded by Islam. Let me remind you of two Qur'anic verses you may know by heart: "The right course has become clear from the wrong" and "whoever wills - let him believe; and whoever wills - let him disbelieve". Besides, one hadith reads, "Whoever hates Islam whether a Jew or Christian must not be forced to change his religion".

Fourth: the Qur'an declares that Allah, the Almighty, has sent Muhammad (PBUH) only as mercy to the worlds. The word "worlds" has a wider meaning than the word "Muslims" as in Islamic philosophy the connotations of this word extends beyond the human beings to cover the world of animals, plants and inanimate objects.

Second: We, Muslims, do believe that Islam is not a religion that is independent from the earlier divine religions such as Christianity and Judaism. The Glorious Qur'an, moreover, teaches us that the divine religion is one religion named Islam, which means submission to the Will of God, worshipping Him and directing oneself only toward Him. As such, all that we call religions in our dialogue are specifically divine messages which constitute connecting links in the chain of the one religion, i.e. Submission.

In this way, we find Islam agree with all previous messages in the fundamental principles of creed and morals. Furthermore, Islam is closely related to these messages because believing in the previous Messengers and Prophets as well as their Holy Books is an integral part of our belief in Muhammad (peace be upon him) and in the Qur'an.

The Qur'an teaches us that the essence of the message of Muhammad is identical with what was divinely communicated to Noah, Abraham, Moses and Jesus (peace be upon them all). This accounts for the close and crystal-clear relationship between Islam and all the previous divine religions, notably Christianity.

Third: The Qur'an enumerates three interrelated facts with regard to Islam's view of humanity as well as the nature of the course of action to be adopted by the Muslims when dealing with non-Muslims:

The first fact is that it is out of Allah's Will that people are created different in religion, creed, color, language and gender. Moreover, such differences never change or vanish; The second fact comes as a consequence of the first which

Ladies and Gentlemen!

I wish you would pardon my honesty that may have exceeded the usual limits of such speeches. But I found it an excuse that I am speaking to scholars and colleagues who will not accept to selectively state some facts and neglect others. All that I have mentioned is the view of the majority of intellectuals, thinkers and analysts in the East as presented by mass media and social media as a proven fact. As for constituents of peace in religions, I have nothing to add in this regard to what I have said again and again in all interfaith conferences that I attended in many European, American and Asian capitals for 15 years. In order not to bother you about this, let me sum up my opinion in this regard by stating the stance of my religion which, I believe, is a moderate religion that shows mercy to the entire humanity.

First: Divine religions have been revealed only to guide man to the way of happiness both in this world and the Hereafter. They teach humans the values of mercy, truth and goodness. Moreover, religions ultimately teach humans that Allah has honored them, raised their status over all other creatures, established them as His vicegerent on Earth, and forbidden shedding their blood, seizing their properties and violating their honor. If you have ever heard or read that any Divine religion allows blood shedding and infringing rights, then be sure that this is misrepresentation of the essence of the religion;

cunningly and skillfully employed religions as fuel for them.

Reverend academics,

I do not want to go further in recalling these sad scenes of the Middle East, as you may be more aware of them than I am. However, I would like to say it is not proper to search in the teachings of religions for the reason of the lack of peace. Rather, we should search for these reasons in the political circumstances and regional or global challenges and the desires of achieving international hegemony; we should search for causes of these wars in the economic ideologies that pay no attention to moral values, and the political schools whose promoters and founders find no harm to achieve the benefit of a small group of humanity at the expense of the vast majority, and find no harm in accumulating wealth, accelerating progress and welfare in the North, while increasing rate of poverty, disease and ignorance in the South. We have to search for the reasons behind the missing peace in this imbalance at the sides of the Mediterranean. Moreover, we have to search for these reasons in the attitudes of the great modern civilizations that find no harm in creating a fake enemy for the sole purpose of making wars and preoccupying such areas with struggles away from their lands in order to enjoy -alone- unity and internal social security against their enemies. Such international complications -whose negative manifestations I have referred to- are more or less responsible for the struggle of the Muslim and Arab worlds. The United Nations -as it has been established to preserve international peace and security- can handle the problems of the Middle East, and save widows and orphans, who have no interest in this conflict.

Logic would fail to find one reasonable justification for the destruction that most of the region's states were made to suffer. Toppling despotic regimes does not require that safe people be bombed by airstrikes, or have their houses torn down over them. The different religious and ethnic factions had long co-existed in peace in this region. The Islamic civilization served as a melting pot where the followers of the different divine religions lived together in peace and, under no circumstances, were discriminated against on the basis of religion. They rather enriched and further enhanced social integrity and coherence.

It is quite puzzling to see the outbreak of these wars at the same time, in one region and between citizens of one and the same nation, away from all other nations of the world.

Once I looked at the world map and tried to investigate the case of all the continents to find out where to hear the shots of cannons or see the pools of blood or the lists of the refugees and the displaced who travel through deserts without food, water or a shelter from rain or snow; I found these catastrophes only happening in the Muslim and Arab worlds.

I wonder if there are any circumstances or causes of such wars and struggles that have started and we cannot predict when to stop. Is revolution against a regime sufficient to ignite internal wars for many years in which blood shedding never stops even for one day? Many such questions that pop in my mind are left unanswered. The only truth I kept in my mind all the way is that Islam -or religions in general- cannot be the cause behind these catastrophes that went uncontrollable, though the promoters of these wars have

Ladies and gentlemen,

The person speaking to you now represents an entire generation that has not witnessed a period of time that is absolutely free from crises and wars. Younger than three years of age, I lived the experience of the Tripartite Aggression on Egypt in 1956.

My peers and I went through many horrors that were so abject that I, some seventy-year-old man, do not want to recall now. A few years later, the Six-Day War took us by storm. We then experienced a suffocating, despair-inspiring five-year period. Sinai had entirely been lost in the blink of an eye and danger became imminent. The economy was war-afflicted and it hardly fulfilled our basic needs. The tearing down of a building over all the students who were there will always be an unforgettable memory to me.

A few years later, another war, the 6th October War, 1973, came with a different taste that time, which made us know how it feels when you emerge victorious and regain your dignity. No sooner had we thought that the Arab East had already entered a new era of stability, total development and catching up with the march towards progress, peace and prosperity, than we were made to experience a war of a different type and strategy where the scope of the armed conflict is directed inwardly to target the people of the same nation after inciting sectarian and racial strife, and providing the clashing parties with arms; thus allowing fierce wars that caused total devastation to happen.

Dear Faculty Members and University Students,

May Allah bestow His Peace, Mercy and Blessings upon you!

I would like to extend my greetings to all of you, and express my profound gratitude for Prof. Nelles for inviting me to participate in this scholarly forum where we can have a discussion about an issue that is so crucial that it threatens our contemporary age, challenges its entire civilizational achievements and almost casts them with the wind. The issue is regional and international peace, and the protection of human civilization from several hazards that lie in wait for them, on top of which is the intercontinental terrorism, which, if left to grow stronger, the inevitable consequence would be that the entire humanity will revert to a probably unprecedented state of savageness and chaos.

Dear scholars and thinkers,

Let me share my vision on this issue in an uncommon way. Such a vision has been formed in my intellect due to my preoccupation with the issue of searching for peace which has been lost, particularly in the recent years as our Arab East has become a scene for daily blood shedding, death and devastation.

The series of Imam's words (6)



Peace first

By
Ahmed At-Tayyib
The Grand Imam of Al-Azhar
President of Muslim Council of Elders



www.alimamaltayeb.com

Peace first

www.alimamaltayeb.com